



كنا نظنّ أن نظام الأسد ليس له مثيل في استغناء الأُنصار والمؤيدين، ثم اكتشفنا أن له أمثالاً سبقوه وتفوقوا عليه في سياسة الاستغناء.

أرادت جبهة النصرة أنت تغطي على جريمتها الأخيرة وأن تبرّر عدوانها الصريح على فصيل ثوري مخلص لا يقلّ عنها إثمًا في العدو، فبُنتُ أمس تسجيلاً مصوراً غيباً يُفترض أن يُثبت تورط حزم في قتل الشيخ يعقوب العمر، شرعي النصرة في إدلب، قبل سبعة أشهر.

لماذا يذكرني هذا التسجيل بالاعترافات التي بثّها التلفزيون الحكومي السوري لأحمد البياسي وآلاء موريّلي؟ هل هي البسمة المصطنعة على الوجه الكليل؟ هل هو تكلف الاسترخاء والطبيعية؟ هل هو التدفق في الشهادة، وكأن الرجل كان ينتظر لقاءه بالكاميرا على أحرّ من الجمر، وكأنه أمضى أسبوعاً وهو يتوسّل للمحققين لكي يسمحوا له بتسجيل الاعتراف؟!

ما غاب عن بال العباقرة الذين بثوا التسجيل هو أن تسعة أعشار السوريين يعلمون أن مقتل الشيخ يعقوب -رحمه الله- كان حلقة من حلقات الصراع الداخلي الذي يدور في أروقة النصرة منذ عدة أشهر، وأن المتهم الرئيسي باغتياله هو الجناح المتشدد الذي يحكم النصرة حالياً، وأن قتله كان ضرورياً لتنظيفها من رموز التيار الإصلاحي المعتدل وتسليم مفاتيحها للغلاة الذين يقودونها منذ ذلك التاريخ إلى الهاوية. كما يعلم عشرة أعشار السوريين أن جبهة النصرة حققت قبل عدة أشهر

مع أبي عبيدة، شرعي "أحرار الشام" الذي اتُّهم بالاعتقال، وأنها جرّمته وقامت بإعدامه! فهل تراهن النصره على غيابنا أم على ضعف ذاكرتنا؟

* * *

لن ننسى أن الشيخ أبا عبد الله الخولي ذهب إلى النصره على رجله وإرادته الكاملة، ذهب في سفارة صلح بين النصره وجبهة ثوار سوريا يوم لم يكن بين النصره وحزم أي خلاف، فكان الجواب هو اعتقاله فوراً، والإعراض عن كل المطالبات التي كررتها حركة حزم طوال أربعة أشهر لإطلاق سراحه.

يبدو أنهم كانوا بحاجة إليه من أجل هذه المسرحية تحديداً، وحيث إن حزم ليست من الفصائل الكبرى في الشمال فإن قادتها لا حصانة لهم ويجوز للنصره اعتقالهم كما اعتقلت عشرات غيرهم من قادة الكتائب الصغيرة الضعيفة، أما النصره فإن المساس بأحد من عناصرها جريمة يستحق الفصيل الذي يرتكبها القتال حتى الاستئصال. ويل لكم من حساب الله يا ثوار الشمال، يا من سكتتم عن الاعتداء على الضعفاء وبررتم الظلم للظالمين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لرسول مُسَيِّمة: "لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتك". هذا وهو رسول شرّ، فكيف برسول الخير؟ عند داعش والنصره لا حصانة للرسول ولو كانوا رسل خير. ذهب الشيخ أبو عبد الله إلى النصره في سفارة صلح فاعتقلته ولفقت له تهمة باطلة، وما أراه إلا مقتولاً. لم تذهب النصره بعيداً، إنما استنسخت ما قامت به الأخت غير الشقيقة، داعش، حينما ذهب إليها الشيخ جلال بايرلي في سفارة صلح بين داعش وكتائب الهجرة إلى الله، فما كان من سفاح داعش في الساحل، أبي أيمن العراقي، إلا أن عاجله بإطلاق النار فقتله على الفور. قتله الله وحرّقه بنار الجحيم.

* * *

ما أرى الرجل إلا قتيلاً، تقبله الله، فلن تجرؤ النصره على إظهاره لأنه سيحرق "الفلم" كله. أتمنى أن أكون مخطئاً، وأتحدى جبهة النصره - لو كانت صادقة وليس عندها ما تخفيه - أن تسلّمه إلى المحكمة الشرعية الموحدة في حلب وريفها لتحاكمه محاكمة عادلة شفافة، أما أن تكون هي الخصم والقاضي والجلاد فما رأينا هذا التجاوز والشذوذ في ثورتنا إلا في فصيلين، داعش والنصره.

إذا أرادت جبهة النصره أن تعدم أبا عبد الله الخولي وأن تقضي على حركة حزم فلتصنع ذلك بشرف، كفانا ألعيب سخيفة لا تنطلي حتى على الأطفال، وحبّذا لو تخبرنا: "من التالي"، فإن أهل سوريا مختلفون في الإجابة عن هذا السؤال.

الزلال السوري

المصادر: